

## بدلة « السنيور » مؤنس !

أما أنا فانتهيت بعد المدة المقررة من إتمام دراستي بجنييف ولم تبهرنى وظيفة المترجمين الدوليين ، وكانوا فى الجامعة كثيراً ما يرسلوننا إلى مقر الأمم المتحدة لكي نستمع إلى المترجمين أثناء عملهم ، وكنا نتابع ترجماتهم وكنت أراهم يجلسون داخل غرف صغيرة جداً من الزجاج ، الواحد تلو الآخر ، وكانوا يضعون سماعات على آذانهم وأمامهم مكبر صوت ( ميكروفون ) ويترجمون فيه ما يسمعونه إلى اللغة المطلوبة . وكانت هذه الغرف الصغيرة جداً التى كانوا يداخلها مرقمة ، وإلى جانب الرقم كانت توجد لافتة عليها اللغة التى يترجمون إليها . وكانوا أثناء عملهم يتحولون بالفعل إلى آلات للترجمة وكانهم فقدوا آدميتهم . وكان بعضهم مشهورين لدرجة أننا كنا نعتبرهم أبطالاً أو نجوماً فعلاً ، وكنا نراقبهم فى مطاعم مقر الأمم المتحدة . ولكننى كنت أراهم بعد قيامهم بمهمتهم عصبين ومذميين لدرجة أنهم لا يستطيعون الكلام مع أحد على الإطلاق بعد الانتهاء من عملهم ، فكان معظمهم يجلس وحده ناظراً إلى الفراغ أمامه يحاول التخلص من التوتر الذى كان فيه ، أما بعض السيدات العاملات فى نفس مجال الترجمة الفورية فكانن نراهن وهن يحاولن التخلص من هذا التوتر

عن طريق شغل « التريكو » . فكانوا كلهم رغم نجوميتهم وثرائهم  
( فكيف تقام المؤتمرات الدولية بدونهم ؟ ) فى حالة نفسية  
وعصبية لا يحسدون عليها .

وحدث أننى تخرجت فى « مدرسة الترجمة » هذه فى المعاد  
المحدد لذلك ، ولكن حدث لى موقف فى آخر فصل دراسى أثر  
فىّ بطريقة حاسمة ، إذ كنت أحضر محاضرة عامة يلقيها مدير  
قسم الترجمة هذا ، وكان اسمه « دى كلافيه » وكانت عن  
المصطلحات الدبلوماسية ، وكان يحضرها جميع الطلاب بدون  
استثناء . وكنا نجلس فى أماكننا وكل واحد منا أمامه ميكروفون ،  
فكان هذا الرجل يقول مصطلحا أو عبارة بالفرنسية ثم يذكر اللغة  
التي يريد أن يترجم إليها ثم ينادى اسما من أسماء الحاضرين . وفى  
هذه المناسبة طلب أن تكون ترجمة . . . إلى الإنجليزية وسمعت  
ينادى اسمى فى الميكروفون . وأنا لم أرد إذ كانت اللغات التي  
أعمل بها هناك الأسبانية ثم الفرنسية ثم العربية ، وكانت الألمانية  
لغتي الرابعة هناك ، ولكن لم تدخل اللغة الإنجليزية فى برنامجى .  
فنادى اسمى مرة أخرى فرددت وقلت إننى لا أعمل بالإنجليزية .  
فكان رد فعل هذا الرجل به مزيجا من السخرية والغضب فقال :  
« هل يستطيع مترجم فوري أن يعمل بدون اللغة الإنجليزية فى  
القرن العشرين ؟ هل يستطيع أى إنسان يعتبر نفسه إنساناً معاصراً  
أن يعيش فى القرن العشرين بدون إجادة اللغة الإنجليزية ؟ »  
وضحك الجميع وكان عدداً يفوق الخمسمائة طالب ، وشعرت

أنتى كما يقولون « فى نصف هدومى » . وبدأت مسألة اللغة الإنجليزية تشغل بالى كثيرا فكنت أعرف الإنجليزية طبعا ولكنها كانت لغة أعتبرها جانبية .

وحدث أنتى كتبت خطابا لأبى فى الكويت وحكيت له ما حدث وسألته إن كان من الممكن أن أمضى سنة فى إنجلترا بعد تخرجى من جيف فجاء الرد سريعا بالموافقة ، وحدث بالفعل أنتى بعد أن حصلت على شهادتى من سويسرا أمضيت سنة كاملة فى لندن ، ثم التحقت بأبى وأمى فى الكويت والتحقث هناك بقسم اللغة الإنجليزية ، حيث عادلث الكلية ما درسته فى إنجلترا بجزء من مواد الليسانس ، وتحوّل بذلك مجرى حياتى العملية تماما ، وأذكر أن أبى لم يلمنى لذلك بل شجعنى كثيرا .

كان لأيام الكويت - كما قلت - طابع خاص تميزه الراحة والهدوء . وكان أبى يتناول العشاء أمام التليفزيون ثم ينزل لنزهته اليومية ثم يجلس معنا أنا وأمى أمام التليفزيون بعد عودته . وفى هذا الوقت كنا نشاهد البرامج التليفزيونية - إن كان هناك برنامج جيد - وكان أبى دائما يأكل اللب الأبيض الذى كان يلزمه دائما فى هذه الجلسات ، أو كنا نتحدث فى أمور شتى . وكثيرا ما كنا نسترجع ذكريات أيام أسبانيا .

وذكر أبى وأمى - على سبيل المثال - السمرء المختلفين الذين كانوا على رأس السفارة المصرية فى الفترة الطويلة التى أمضاها

هناك . ففي إحدى المرات وصل سفير جديد . وكان سوريا  
إذ كان وقت الاتحاد مع سوريا - وكان على جميع أعضاء السفارة  
أن يرافقه في يوم تقديم أوراق اعتماده للحكومة الأسبانية .  
وكانوا في هذا اليوم يقابلون جميعا ويصانحون الرئيس فرانكو .  
وفوجئ أبي بأنه كان يجب عليه في هذا اليوم أن يرتدى بدلة  
من طراز « الفراك » الأوربي ، وهي بدلة سوداء تتميز بأن لها  
ذيلين ينزلان إلى الأسفل من ظهر « الحياكيتة » . ولم تكن عند  
أبي مثل هذه البدلة ، وهي بدلة مكلفة جداً إذ بها أكثر من  
عشرين قطعة ما بين الصديري وربطة العنق الصغيرة وأزرار خاصة  
بالكمين وأشياء أخرى معقدة للغاية . وإلى جانب تعقيدها وتكاليف  
تفصيلها - وهي لا ترتدى إلا في مناسبات نادرة جداً - ولم يكن  
هناك وقت كاف لتفصيلها فكان ميعاد تقديم أوراق الاعتماد هذه  
قد اقترب جدا .

وناقش أبي موضوع البدلة مع سكرتير المعهد الذي كان من  
سماته أن يأتي دائما بحلول في المأزق ، واقترح على أبي وعلى وكيل  
المعهد الذي كان في نفس المأزق أن يؤجرا مثل هذه البدلة قائلا :  
إن في أسبانيا هناك محلات متخصصة لتأجير الملابس الرسمية .  
فرفض أبي الاقتراح قائلا : إنه ليس من المناسب أن يرتدى مدير  
المعهد وهو في نفس الوقت المستشار الثقافي بالسفارة بدلة مؤجرة  
وإن هذا « قلة قيمة » . فأقنعه السكرتير قائلا : إنه سيؤجرها  
يوما واحداً فقط ولن يعلم بهذا الأمر إنسان فسيكون ذلك سرا

بينهما . فافتتح أبى بالذات لأن الوقت كان ضيقا ورأى أنه ليس هناك حل آخر . فذهب هو والسكرتير ووكيل المعهد إلى هذا المحل . وعندما دخل قال لهم صاحب المحل وهو يستقبلهم : « هل أنتم تابعون للسفارة المصرية ؟ »

قالوا : « نعم . ولكن كيف علمت بذلك ؟ »

قال : « علمت ذلك من شكلكم أولا ، ثم إن جميع أعضاء السفارة المصرية أتوا إلى هنا فضحك أبى ومن معه كثيرا ، ثم قاموا باستئجار البدل ، وضبطت مقاساتها وأرسلت إلى المنزل وهي كأنها جديدة ، ومفصلة على مقياس أبى ووكيل المعهد .

وجاء يوم تقديم أوراق الاعتماد . وكانت هذه مناسبة يحتفل بها الأسبان احتفالا يفومون فيه بتجهيز قافلة كبيرة من العربات التاريخية تشدها الخيل . ويجلس داخل هذه العربات الملكية - فهي خشبية مذهبة - أعضاء السفارة المختلفون . ثم تتجول هذه القافلة في شوارع مدريد الرئيسية حتى توصل السفير وأعضاء السفارة إلى القصر الملكي - « البلاثيو ريال » - حيث ينتظرهم الجنرال فرانكو . وكان ينشر خبير تقديم أوراق الاعتماد هذه في الجرائد اليومية ، وكذلك المسار التي تتخذها القافلة لأن الكثيرين من الأسبان يحبون الوقوف في الشارع للفرجة على القافلة وهي تمر .

وأخذتنا أمى - أنا وأخى - وذهبنا إلى شارع رئيسى حتى

نرى القافلة تمر ، ونرى أبي داخل العربة مرتديا بدلة « الفراك »  
وذهبت معنا مديرة المنزل لدينا وكانت أسبانية . وجرت العادة  
أنه عندما تمر القافلة أمام المشاهدين أن يصفقوا جميعا ، وكان  
المنظر دائما مبهرا وجميلا . ووقفنا بالفعل وانتظرنا . ومرت  
القافلة ، ورأينا أبي بداخل العربة المخصصة له . ولكن مديرة  
المنزل الإسبانية لم تستطع أن تسيطر على أعصابها وإلى جانب  
التصفيق جرت نحو العربة التي بها أبي وصاحت بأعلى صوتها :  
السينيور ! السينيور ! وأعادها البوليس الأسباني إلى مكانها مع  
باقي المشاهدين .

وبعد هذه المناسبة اضطر أبي أن يفصل بدلة « فراك » لنفسه  
حتى لا يلجأ مرة أخرى إلى تأجير ملابس . وأذكر أنه لم يكن  
يجب ارتدائها أبدا فكان يتعارض مثل هذا الملبس مع طريقته في  
الحياة ، إذ كانت ملابسه دائما بسيطة وليس بها ما يلفت النظر ،  
فقد كان متواضعا لا يحب لفت الأنظار لا عن طريق الملابس  
ولا في سلوكه مع غيره ، ومع هذا التواضع كله كان له وجود  
قوى أينما ذهب .

وذكرت أُمي مناسبة أخرى مع سفير مصرى آخر كان معروفا  
بكرمه ومعاملته الجميلة لكل من حوله حيث كان مسافرا إلى  
مهمة من أسبانيا إلى فرنسا . فطلبت منه زوجته السفيرة أن يأتي  
بستين مترا من القטיפنة الفرنسية حتى يجددوا بها ستائر السفارة .

وأتى السفير بأحسن نوع قטיפه وجده فى باريس . وعندما رأته زوجته القماش وجدت أنه لا يصلح للستائر لأنها كانت قטיפه من نوع فاخر تصلح للملابس . ووجدت نفسها بهذا الكم الهائل من القماش الممتاز ولا تعلم ما تفعل به . ففكرت وانتهت إلى حل وهو أنها قصت القماش إلى قطع طول كل منها خمسة أمتار وأهدت كل واحدة من زوجات موظفى السفارة قطعة قماش بدون أن تحكى لمن قصة هذا القماش . ففهمت كل سيدة مصرية استلمت قطعة القماش أنها هدية خاصة بها وحدها وبطبيعة الحال قامت بتفصيلها لكي ترتديها ففصلت كل واحدة . من السيدات « فستانا » أو « تيورا » أو معطفا أى تصرفت كل سيدة على حده بتفصيل القماش لنفسها ، وهى متأكدة أن السفيرة تعزها معزة خاصة ، وأنها لذلك اختصتها بقطعة القماش الفاخر فلم تقل أى سيدة للأخريات عن هذه الهدية شيئا . وبهذه الطريقة أصبحت كل سيدة مصرية تابعة للسفارة لها ملابس من نفس القماش . ولما عرفن قصة القماش ضحككن كلهن إذ فهمن أن معزتهن لدى السفيرة واحدة . ولكن ظهرت مشكلة وهى أين يرتدين هذه الملابس الجديدة إذ كانت معظم خروجاتهن الاجتماعية تجمعهن معا وعادة يفقد قيمة الملابس وجماله إذا ارتدت أكثر من سيدة نفس الملابس أو ملابس مختلفة من نفس القماش فاتفقن على ألا يجتمعن بنفس الملابس فى مكان واحد ، وأصبح السيدات

يتفقد تليفونيا قبيل كل مناسبة تجمعهم ماذا سيرتدين حتى لا يأتين مرتديات ملابس من نفس القماش . وكانت هذه نادرة من النوادر ، وزادت كثيرا من الألفة بين أعضاء السفارة وزوجاتهم .

وفى عهد سفير مصرى آخر تصادف أنه كان من بين أعضاء السفارة دبلوماسيون فى العهد القديم - أى عهد ما قبل الثورة - وآخرون من العهد الجديد - أى عهد الثورة .

وكان كثيرا ما تحدث مشاجرات بينهم وكانت من عادتهم أن يلجحوا إلى أبى لكى « يفك الاشتباك » ، وعندما كانوا يتصلون به تليفونيا من السفارة ويقولون له : « تعال يا دكتور مؤنس فهناك مسألة بسيطة نحب أن نعرضها عليك » . كان أبى يفهم فى هذه الأحيان أن هناك عراقا ما فكان ينزل بسرعة البرق ويصاحبه دائما مسكرتير المعهد . وكان ينزل بسرعة لأنه كان يعلم أن هذه المشاجرات غالبا ما كانت تتحوّل إلى ضرب حقيقى ، وكان دائما يعرف كيف يسوى الأمور بين المتشاجرين ، ولم أسمعهم يتكلم فى البيت أبدا عن تفاصيل ما حدث لأنه كان يعتبر هذه الأشياء شخصية لأصحابها ويجب ألا يتكلم عنها أبدا . وكان من سماته أنه لا يحب النسيمة ولا الخوض فى سيرة الناس بل كان يطفى الشائعات عندما يسمعها . والناس كانوا يعرفون أن سرهم فى الحفظ والصون « معه . وأذكر أننى عندما كنت أذهب له وأقول إننى سمعت شيئا غير مرضٍ عن شخص معين فكان يسألنى

« هل رأيت بنفسك ؟ » فأقول « لا لم أراه بل سمعت » . فكان  
يرد قائلا : « إذن فلا تتكلمى فى هذا الموضوع ولا تصدقنى ما  
يقال . اتركى الناس تعش » .

المهم اكتسب أبى فى هذه الفترة فى أسبانيا وصف حماسة  
السلام ، وأصبح بعض المصريين يلجئون إليه لحل خلافات زوجية  
وكان غالبا ما ينجح فى تهدئة الأحوال .

وفى نفس عهد السفير المذكور طرأت فكرة جميلة بين أعضاء  
السفارة وهى أنهم يقومون بمباراة لعبة الشطرنج ، وفكروا أن  
يشترك فيها جميع رجال السفارة وأعضاء المعهد أى أبى والوكيل  
والسكرتير . ونظمت العملية بجدول للعب وكانوا يلعبون بعد  
الظهر - أى بعد ساعات العمل - سواء فى مقر السفارة أو المعهد ،  
وتعهدوا أن من يكسب فى النهاية - أى الفائز الأول - يفوز  
بكأس يشتركون كلهم فى شرائه ويقومون له حفلا صغيرا .

وبدأت المباريات ثم التصفيات وأظهرت كثيرا من طبائع  
الأشخاص المختلفين فكان من الصعب جداً على بعض الناس أن  
يقبلوا الخسارة فى لعبة الشطرنج هذه بطريقة رياضية .

وكان من أحسن اللاعبين سكرتير المعهد . وحدث أنه بعد  
التصفيات المتتالية أقيمت المارة النهائية وكانت بين سكرتير المعهد  
وموظف كبير بالسفارة . وكسب الدورة سكرتير المعهد ، ولكن  
الموظف الكبير بالسفارة لم يقنع أبدا بأن يعترف بأن رجلا أقل

منه فى الرتبة قد كسبه فى لعبة الشطرنج . ولكن - فى نهاية الأمر - حاز سكرتير المعهد الكأس المهود وأقيمت له الاحتفالية المهودة .

أذكر بهذه المناسبة أننا وأنا وأخى كنا صغيرين فى هذا الوقت ولكننا كنا فى سن استطعنا فيها أن نتعلم لعبة الشطرنج وأن نتابع لعب من يكبرونا وأحبيناها . وبعد ذلك كنا نلعبها سويا . وأذكر أن أخى غالبا هو الذى يكسب معظم الأدوار معى ، ولو حدث أننى كسبته فى مرة كان يزعج جدا ، ولا يريد أن يكلمنى فلم يتقبل الخسارة بسهولة أبدا وكان يجب علينا أن نبدأ دورا ثانيا حتى يكسبه هو ، فكان يعتبر هزيمته فى هذه اللعبة أمامى إهانة لرجولته .

وذكرت أمى حادثا كان وقع لأبى وهو أنه كان يعمل كثيرا جدا فى إدارة المعهد وفى عمله الخاص أى قراءته وكتاباته العلمية ، فكان دائما فى حالة إجهاد شديد . وحدث أنه فى يوم من الأيام سقط مغمى عليه وهو فى مكتبه فنقلوه إلى البيت وطلبوا طبيبا ، وعندما كشف عليه طلب أن يقام له رسم قلب . فقيم به . ثم شخص التعب على أنه تعب فى القلب . لم يرض أمى هذا التشخيص لأنها كانت تعلم أن أبى لم يشك أبدا من قلبه ، ثم إن حالته لم تحسن فاستمر وقتا طويلا يصيبه دوار إذا حاول القيام من الفراش . فاستدعت أمى طبيبا آخر . وشخص هذا الطبيب الثانى المرض على أن الموضوع متعلق بالأذن الوسطى وهى

التي تسبب في هذا الدوار . وكان تشخيص الطبيب الثانى هو التشخيص السليم . ومنذ ذلك الحين وأبى يضع فى أذنه دائما قطعة صغيرة من القطن عندما يخرج من البيت وكانت أبى تذكره دائما بها .

وأذكر أننا بعد أن عدنا إلى مصر نهائيا أصبح أبى يمضى نصف النهار خارج البيت سواء فى دار الهلال أو فى دار المعارف بعد ذلك ، فكانت أبى تخشى عليه من المشروبات التي قد يتناولها إذ أنها تعلم أن الفناجين والأكواب غالبا لا تغسل جيدا ثم إن الشاى القاتم « الكشرى » لا يُشرب ومضر للصحة . فحلّت هى هذه المشكلة ، إذ كانت - كما قلت - تخشى عليه وعلى صحته كثيرا ، فكانت تحضر له فى كل صباح « تيرموسا » تملؤه بالشاى تصنعه بالطريقة التي يحبها هو . وأصبحت - عندما يغادر البيت فى الصباح - تسأل دائما : هل وضعت القطنة فى أذنك ؟ « فيقول : نعم . ثم تسأل : هل معك « التيرموس » ؟ فيرد قائلا : « نعم » . وأصبح هذان السؤالان بمرور الزمن بمثابة التكنة التي يتبادلانها عند مغادرته للمنزل فى كل صباح . فكان يخرج أبى ممسكا بكل من « التيرموس » داخل كيس من « النايلون » ثم الحقيبة الجلدية التي بها أوراقه وكتبه فى يده اليسرى وكان يترك يده اليمنى خالية . وأذكر أن كفه اليسرى كان أوطأ بقليل من كفه اليمنى وذلك بسبب حمله لحقيبة أوراقه المليئة بالكتب على



أبي وهو يصافح الجنرال فرانكو في مدريد .

مدى عمر طويل فكان يحمل حقيقته بنفسه ونادرا ما يطلب من فراش أن يحملها إلا إذا أتى فراش من تلقاء نفسه وأخذها منه .

أما « التيرموس » الذى كان يأخذه معه فله قصص وحكايات وحده . فكم من مرة نسيه فى أماكن أو فى سيارات أجرة وتزعج أمى وتشتري « تيرموسا » آخر . وكان أبى عندما يطلع من مكتبه ويجالس أحد زملائه فى مكتب مجاور يأتى وراءه فراش « بالتيرموس » هذا لأنه يعلم أن أبى لن يشرب شيئا إلا منه .

وكل هذه طرائف ونوادير كنا نتحدث عنها فى أيام الكويت الهادئة ونحاول أن نتذكر تفاصيلها . وعندما أفكر فى الأمر الآن أجد أن كثيراً من الشخصيات التى اشتركت فى هذه « الحكايات » قد توفوا أو لم أسمع عنهم منذ سنوات طويلة ، وكل ما بقى منهم هى الذكري وبعض اللمحات . وكان أبى يتذكر ويحكى ويضحك ، والذى كنت ألاحظه عليه دائما أنه لم يذكر أحداً بالسوء أبداً فإذا حاول أحد أن يؤذيه أو يؤلمه كان يتناساه تماما ولا يذكره أبداً .